الا في صبيحة يوم ١٧ . وبدلا من التحرك باتجاه صور والليطاني اعلن الناطق العسكري في تل ابيب في الساعة السابعة من مساء ١٦ « ان الوحدات الاسرائيلية انهت مهمتها وعادت الى اسرائيل باستثناء وحدة تقوم بعملية تطهير قرية جويا»(٤). ومع تنفيذ الانسحاب الذي تأخر حتى مساء يوم ١٧ بسبب صعوبات اخلاء المعدات والاليات الاسرائيلية المدمرة على ارض المعركة اختفت التساؤلات حول هدف الهجمة الاسرائيلية . وبدا عمل اللواء المدرع وكأنه عرض عضلات ، او اذا شئنا استخدام التعبير العسكري الدقيق : « ردع عن طريق عرض القوة واستخدامها جزئيا » . فهل كان هذا « العرض » مخططا من قبل ام جاء نتيجة لتبديل الخطة الاسرائيلية تحت تأثير عوامل متعددة؟ ان من المتعذر الرد على هذا السؤال في الوقت الحاضر . ولكن كثيرا من الظواهر تدفعنا الى الاعتقاد — دون جزم — بأن الاسرائيليين بدلوا خطتهم خلال سير العملية نظرا للاسباب التالية :

١ — الضغوط الدولية : اذ لم يحظ الهجوم الاسرائيلي على الاراضي اللبنانية بتأييد عدد من الدول الغربية . وخاصة فرنسا التي قام وزير خارجيتها موريس شومان باخطار السفير الاسرائيلي خلال القتال « بأن فرنسا لن تبقى في موقف اللامبالاة تجاه اي مساس بسيادة الارض اللبنانية وان القائم بالاعمال الفرنسي تلقى منذ هذا الصباح تعليمات بأن يطلب من الحكومة الاسرائيلية الشروع في سحب قواتها التي توغلت في الاراضي اللبنانية»(٥). ولقد لعبت الحكومة اللبنانية ورقة الضغط السياسي منذ البداية . وصرح رئيس الوزراء اللبناني صائب سلام امام النواب في جلسة يوم السبت ١٦ ايلول بان حكومتي فرنسا وبريطانيا « تضامنتا بالعمل الحثيث القوي للضغط على اسرائيل بالانسحاب ، وهما تحاولان تأليب اكبر عدد من الدول للوقوف موقفهما»(٦). وفي ندوة ١٧ ايلول الاذاعية التلفزيونية تحدث رئيس الوزراء اللبناني عن عدم وجود اتجاه لتقديم شكوى الى مجلس الامن الذي اطلق عليه لقب «حائط المبكى» وخاصة بعد الفيتو الامريكي الاخير . ثم اكد اهتمام لبنان بالاتصالات السياسية مع فرنسا وبريطانيا ، والامل الذي يعقده على هذه الاتصالات للضغط على اسرائيل بقوله « إننا لا زلنا نتحفظ بالذهاب الى مجلس الامن . وبقينا نترقب تحركات بعض الدول مثل فرنسا وانكلترا»(٧). ولم يكن موقف لندن حازما كموقف باريس ولكنه كان موقفا ضاغطا الى حد ما. وبالاضافة الى الدول الغربية فقد نددت الدول الشرقية والدول المحبة للسلام بالعدوان الاسرائيلي على لبنان ، حتى ان كورنيليو مانيسكو وزير خارجية رومانيا — وهي اكثر الدول الاشتراكية تعاطفا مع اسرائيل — قد ابلغ السفير الاسرائيلي في بوخارست « بانه لم يكن هناك اي مبرر لعملية الجيش الاسرائيلي ، وانها تمس سيادة لبنان وسلامة ارضه»(٨). وبالرغم من الاتصالات التي اجراها لبنان مع واشنطن فاننا لا نملك حتى الان ما يشير الى قيام الولايات المتحدة الامريكية باي دور في مجال الضغط على اسرائيل ، ولا نتوقع ان تكون واشنطن قد لجأت الى مثل هذا الضغط حتى ولو كان هذا الضغط يخرجها جزئيا من العزلة التي وقعت فيها بعد تورطها في استخدام الفيتو في الاسبوع الماضي، وذلك لاعتقادنا بأن نيكسون عاجز عن الضغط على اسرائيل قبل ستة اسابيع من موعد الانتخابات الامريكية .

٢ — ضراوة المقاومة : لم يكن مخططو العملية ينتظرون الاصطدام بمقاومة عنيفة . وكانوا يعتقدون ان اندفاع الارتال المدرعة على الطرقات تحت تغطية مظلة جوية متفوقة بشكل حاسم سيشل كل مقاومة ويفتح الطريق بلا قتال حتى الليطاني . ولقد بنوا اعتقادهم هذا على مبدأ عسكري يقول بأن التفوق الساحق يصل بالردع الى ذروة تأثيره بشكل يشل الخصم ويخفف احتمالات عمل القوات المتفوقة الى الحد الادنى . ولكن المقاومة العنيفة التي ابدتها المخافر القتالية اللبنانية المتمركزة على الطرقات (كانت هذه المخافر مؤلفة من عدد من الدبابات المتمركزة دفاعيا ، والمدافع ١٠٦ عديمة الارتداد المضادة للدبابات ، ومجموعات من المشاة والمهندسين) ، واستناد هذه المخافر في عدد من النقاط الحساسة الصعبة الى تخريبات (نسفيات)، وصمود مجموعات المقاومة الفلسطينية — رغم صغر امكاناتها في هذا القطاع — في بنت جبيل وعيناتا ومجدل سلم والعديسة وقانا وجويا ، وعنف قصف المدفعية اللبنانية رغم تعرض مرابضها لقصف الطيران المعادي(٩)، واصدار الاوامر لقوات الجيش اللبناني المتمركزة في قطاع الهجوم والقطاع الغربي بالدفاع دون فكرة تراجع داخل جزر مقاومة حتى ولو تم تطويقها وعزلها نهائيا ، ان كل هذا قد ابطأ تقدم الاليات الاسرائيلية على المحاور ، وكبدها عددا من الخسائر ، ومنع العدو من اغلاق